رحلة "معراج" السيد !*

لما توفي "سيد أبو الحسن الاصفهاني" المرجع الأعلى للشيعة الإمامية في النجف عام 1945، وجدوا في وصيته: (... ويغسلني ويكفنّي "سيد عبد الحميد"، ثم اتركوا جثتي على الارض في طرف قرية الكفل، وستهبط ملائكة لرفعها..) !. وشاء الله تعالى أن يموت المرجع في وقت غياب سيد عبد الحميد - كاتم سره- حيث كان مسافراً الى الديوانية، ولا تتوجد آنذاك اتصالات لاستدعائه ولا ثلاجات لحفظ الموتى، فانتظروه حتى بدأت جثة السيد "تجيف"، فاضطروا لتغسيله، وفوجيء المغسِّلون بأن مرجعهم ليس مختوناً! [ما مطهَّر- بالعراقي الفصيح!].. فبدأوا يتهامسون، وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ!.. ثم كفنوه ونقلوا جثته وفق وصيته الى طرف قرية الجفل- كما تُسمى- وتركوها هناك . لكن أحد أبناء النجف - ورغم إيمانه بالسيد!- أراد الاطمئنان ... فقرر الذهاب والمرابطة بمكان قريب ليرى الملائكة كيف تهبط وترفع جثة السيد، وهل ستعرج بها إلى الملأ الأعلى- مثلا؟!.. وفعلاً ما خاب ظن الرجل ! .. فعندما حلّ الظلام ظهر نور يتلألأ في السماء قادم من بعيد، ثم صحبه صوت هدير لطائرة هليكوبتر هبطت وعليها شعار القوة الجوية الملكية البريطانية RAF ،وترجل منها "ملَكان كريمان"! معهما "سدية" فحملا الجثة على الطائرة و"عرجا" بها إلى السماء . ويتندر صديق لي من عرب النجف فيقول: الأرجح أن الرحلة "الملائكية" قد وصلت إلى "سدرة" المملكة المتحدة حيث دُفن السيد في حديقة إحدى الكنائس التي تقلد المرجع الأعلى آية الله "أبو ناجي" قُدِّس سرّه الشريف!!

هذه الواقعة تتوافق مع ما صرح به مؤخراً المرجع الإمامي الكبير كمال الحيدري بأن "معظم رواياتهم منقولة عن النصارى واليهود!".. وهذا اعتراف واقرار خطير - إذا كان قاله صادقاً ومخلصاً فلا بد أن يتبعه قفزة إلى فسطاط الحق - كما فعل المرجع الإيراني الكبيرالإمام آية الله أبو الفضل البرقعي رحمه الله - وإلا فما فائدة إقرار بهذا الوزن مع البقاء على ملَّة وضع أهل الكتاب أغلب رواياتها؟ !!.
بقي أن أتساءل في الختام: هل خلَّف "سيد عبد الحميد" ذريةً (بعضها من بعض) لتتولى تغسيل السستاني ثم تكتم سرّه الشريف؟!
ومَن سيتشرف بـ"العروج" بجثمانه الطاهر الـ ما مطهر؟! آآآلقوة الجوية البريطانية أم أختها الأمريكية أم غيرهما؟! .. الله أعلم .

غسان البصري - 12 ربيع الاخر 1437

*روى لي الحادثة دكتور موثوق - نقلاً عن أحد أحفاد النجفيين الذين"أَسَرُّوا النَّجْوَىٰ"!.